

تفسير البحر المحيط

@ 336 @ الماوردي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعن ابن عباس : هو الحمد □
الذي صدقنا وعده ، والظاهر أن { الْحَمِيدِ } وصف □ تعالى . قال ابن عطية : ويحتمل أن
يرد بالحميد نفس الطريق ، فأضاف إليه على حد إضافته في قوله : دار الآخرة . .
{ إِنَّ السَّذِينَ كَفَرُوا ° وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبِيدِ وَمَن
يُرِدْ فِيهِ . . }

المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار ، ومنه
{ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } كقوله { السَّذِينَ ءَامَنُوا ° وَتَطْمَئِنُّ }
قُلُوبُهُمْ ° بِذِكْرِ اللَّهِ } وقيل : هو مضارع أريد به الماضي عطفاً على { كَفَرُوا °
{ وقيل : هو على إضمار مبتدأ أي وهم { يَصُدُّونَ } وخبر إن محذوف قدره ابن عطية بعد {
وَالْبِيدِ } خسروا أو هلكوا وقدره الزمخشري بعد قوله { الْحَرَامِ } نذيقهم { مِّنْ
عَذَابِ أَلِيمٍ } ولا يصح تقديره بعده لأن الذي صفة { الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } فموضع
التقدير هو بعد { وَالْبِيدِ } لكن مقدر الزمخشري أحسن من مقدر ابن عطية لأنه يدل عليه
الجملة الشرطية بعد من جهة اللفظ ، ابن عطية لحظ من جهة المعنى لأن من أذيق العذاب خسر
وهلك . وقيل : الواو في { وَيَصُدُّونَ } زائدة وهو خبر إن تقديره إن الذين كفروا
يصدون . قال ابن عطية : وهذا مفسد للمعنى المقصود انتهى . ولا يجوز البصريون زيادة
الواو وإنما هو قول كوفي مرغوب عنه . .

وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد رسول □ صلى □ عليه وسلم) عن المسجد الحرام
وذلك أنه لم يعلم لهم صد قبل ذلك بجمع إلا أن يراد صدهم لأفراد من الناس فقد وقع ذلك في
صدر المبعث ، والظاهر أنه نفس المسجد ومن صد عن الوصول إليه فقد صد عنه . وقيل : الحرم
كله لأنهم صدوه وأهله عليه السلام فنزلوا خارجاً عنه لكنه قصد بالذكر المهم المقصد من
الحرم . .

وقرأ الجمهور { سَوَاءً } بالرفع على أن الجملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول الثاني
، والأحسن أن يكون { الْعَاكِفُ } هو المبتدأ و { فِيهِ سَوَاءً } الخبر ، وقد أجزى
العكس . وقال ابن عطية : والمعنى { الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ } قبلة أو متعبداً
انتهى . ولا يحتاج إلى هذا التقدير إلا أن كان أراد تفسير المعنى لا الإعراب فيسوغ لأن
الجملة في موضع المفعول الثاني ، فلا يحتاج إلى هذا التقدير . وقرأ حفص والأعمش { سَوَاءً

{ بالنصب وارتفع به { الُءَءَءَءُ } لأنه مصدر في معنى مستو اسم الفاعل . ومن كلامهم :
مررت برجل سواء هو والعدم ، فإن كانت جعل تتعدى إلى اثنين فسواء الثاني أو إلى واحد
فسواء حال من الهاء . وقرأت فرقة منهم الأعمش في رواية القطعي { سَوَاء } بالنصب {
الُءَءَءَءُ فَرِيهَ } بالجر . قال ابن عطية : عطفاً على الناس انتهى . وكأنه يريد عطف
البيان الأولى أن يكون بدل تفصيل . .

وقرء { * والبادي } وصللاً ووقفاً وبتركها فيهما ، وبإثباتها وصللاً وحذفها وقفاً {
سَوَاء الُءَءَءَءُ } المقيم فيه { * والبادي } الطارء عليه ، وأجمعوا على الاستواء في
نفس المسجد الحرام واختلفوا في مكة ، فذهب عمر وابن عباس ومجاهد وجماعة إلى أن الأمر
كذلك في دوس مكة ، وأن القادم له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أوى ،
وقال به الثوري وكذلك كان الأمر في الصدر الأول . قال ابن سابط : وكانت دورهم بغير أبواب
حتى كثرت السرقة ، فاتخذ رجل باباً فأنكر عليه عمر وقال : أتغلق باباً في وجه حاج بيت
الله ؟ فقال : إنما أردت حفظ متاعهم من السرقة فتركه ، فاتخذ الناس الأبواب وهذا الخلاف
مترتب على الخلاف في فتح مكة أكان عنوة أو صلحاً ؟ وهي مسألة يبحث عنها في الفقه . .
والإلحاد الميل عن القصد . ومفعول { مَن بَرَدِ } قال أبو عبيدة هو { بِإِلْحَادِ }
والباء زائدة في المفعول . قال الأعشى